عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال 10.54239/2319-021-001-003 (DOI)

المراسلات الفقهية بين الإمام أبو سعيد بن لب وبين الإمام أبو إسحاق الشاطبي

jurisprudence correspondences between Imam AL SHATIBI and his teacher Imam SAID IBN LUB

ط. د طالب خديجة*
المعهد الأوروبي للعلوم الإسلامية. باريس/ فرنسا.
taleb.khdz@gmail.com
أ.د. محمد الشتيوي
Mohamedchtiwi738@yahoo.fr
جامعة الزيتونة / تونس
المعهد الأوروبي للعلوم الإسلامية. باريس

تاريخ الإرسال:2021/07/27 تاريخ المراجعة: 2021/08/29 تاريخ القبول:2022/06/10

الملخص:

بدأت الحاجة إلى الكتابة ترتقي منذ صدر الإسلام وذلك لإصلاح شؤون البلاد والعباد، فكانت المراسلات العلمية رافدا قويا من روافد النهضة الإسلامية وكان لها أثرها البالغ في توجيه الدعاة والدعوة الى المنهج السليم، والأسلوب القويم في التعامل مع المدعو وفي تصحيح بعض العقائد والأفكار. بدأت الحركة الفكرية بالأندلس في النصف الأول من القرن السّابع الهجري، بالتطور والإنتاج العلمي الرائع، وقد حظيت مملكة غرناطة بصرحين علميين حافظا على هذا الاشعاع الفكري الكبير وهما: الجامع الأعظم والمدرسة النّصرية. وقد ظهر النشاط العلمي في تأليف مصنفات في مختلف الفنون ومنها التباحث في المسائل الخلافية وفي المراجعات. وكان الامام أبو إسحاق الشاطبي أحد البارزين في مجال البحث والحوار الفقهي والمراسلات مع

* طالب خديجة، المعهد الأوربي للعلوم الإسلامية، باريس

شيخه وفقهاء عصره. وقد تناولت في هذا البحث العلمي نموذج من نماذج هذه المراسلات الفقهية التي كانت بين الإمام الشاطبي وبين شيخه الإمام سعيد بن لب -رحمهما الله تعالى- مع ذكر بعض المسائل التي خالف فيها الإمام الشاطبي شيخه ولكل منهما دليله وحجته.

الكلمات المفتاحية: المراسلات؛ غرناطة؛ الشاطبي؛ البدع؛ الفتاوى.

Abstract :

The need to start writing began developping since the rise of Islam to repair the country's and people'concerns.

The scientific correspondences was one the strongest supports during Islamic renaissance and it had such a powerful impact in guiding the preaches to the right process and the correct method in dealing with the receiver along with correcting his ideas and beliefs. The intellectual mouvement started mid seventh century AH in andalusia thanks to the evolution and science productivity.

The Kingdom of Granada had the chance to have two scientific edifices that preserved this intellectual field: The Great Mosque and the Nasrid School. The science activity has shown up in a compilation of works on various arts as: Discussing controversial issues and reviews.

Iexplained in this research page an example of this jurisprudence correspondences which was in between Imam AL SHATIBI and his teacher Imam SAID IBN LUB with mentioning few issues wich Imam EL SHATIBI disagreed his teacher about, and each one of them had his own arguments and evidence.

Keywords : Correspondence. SHATIBI. Granada. fatwas. fad.

مقدمة:

كان للمراسلات أهمية بالغة في التواصل العلمي بين الفقهاء، لذلك تناولت في هذه الورقة البحثية نموذج من نماذج هذه المراسلات الفقهية التي كانت بين الإمام الشاطبي وبين شيخه الإمام سعيد بن لب -رحمهما الله تعالى-.

وهذه الدراسة كانت لخدمة المذهب المالكي وإثراء السّاحة العلمية به من خلال البحث عن المراسلات الفقهية التي كانت بين الفقهاء وإبراز أهميتها والاستفادة منها.

وكذلك التعريف بالشخصيات العلمية لها قامتها في المذهب والاستفادة من فتاويهم ونوازلهم. وإظهار الخلاف الفقهي في الفتاوى والنوازل الذي كان بين الفقهاء على حسب اجتهادهم، في نفس المذهب بكل احترام وأدب وكلهم مصيب في فتواه.

إن كان لابد في منهجية البحث العلمي من التصريح بإشكالاته فهي:

كيف تعامل الفقيهان مع التراث الفقهي؟ وماهي المسائل التي خالف فيها الإمام الشاطبي شيخه الفقيه سعيد بن لب؟

ومن أهداف هذا البحث هو إبراز دور المراسلات الفقهية بين الفقهاء وإثراء المذهب المالكي وفتح باب الاجتهاد.

- الوقوف على منهجية كبار المالكية في استنباط الأحكام والفتاوى، وأسلوبهم في الجواب وآداب الحوار.
- المراسلات التي كانت بين الفقهاء للإستفتاء أو لذكر المسائل المختلف فيها بكل أدب واحترام ولكل دليله وحجته.

إنّ الفقه الإسلامي صالح ومصلح لكل زمان ومكان، وأنّ أصوله الإجمالية وقواعده الكلية مرنة، تسع الناس على اختلاف أزمانهم وبيئاتهم وأعرافهم. والاختلاف بين العلماء رحمة وسعة في هذا الدين.

-ولقد اتبعت في البحث المنهج التاريخي بالنسبة لتراجم الرواة. واستقرائي بالنسبة لتتبع فتاوى الفقهاء في نوازلهم وقضاياهم من خلال مراسلاتهم وتواصلهم .

-المراسلات بين الفقهاء والعلماء وجدت منذ عصر النبوة مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم، كمكاتبة الأمراء والملوك ورؤساء القبائل لدعوتهم للإسلام. منها على سبيل المثال لا الحصر:

- رسالة الإمام أبي حنيفة الكوفي، المتوفى سنة(150هـ -767م)، إلى فقيه البصرة الإمام عثمان بن مسلم البَتّي البصري، المتوفى سنة(143هـ -760م)، رضي الله تعالى عنهما.
- رسالة الإمام مالك بن أنس المدني، المتوفى سنة(179هـ -795م)، إلى فقيه مصر امام الليث بن سعد الفهري المصري، المتوفى(175هـ-791م)

قمت بترجمة مختصرة للفقيه سعيد بن لب وكذلك للفقيه الشاطبي من كتب التراجم المعتمدة. استقرأت بعض كتب الفتاوى والنوازل للشاطبي ولسعيد بن لب مثل كتاب فتاوى الشاطبي لأبي الأجفان. الإفادات والإنشادات للشاطبي. وكتاب تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد بن لب الغرناطي. بحثت على بعض المسائل التي خالف فيها الشاطبي إمامه سعيد بن لب.

عزو الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها. تخريج الأحاديث من مصادرها. أعرف بالمصدر عند ذكره أول مرة، وإن كررت ذكر المصدر اكتفيت بذكر المؤلف وذكر عنوان الكتاب، رقم المجلد، ورقم الصفحة. توثيق المعلومات وعزوها إلى مصادرها.

قسمت موضوعي الى مقدمة ومبحثين وكل مبحث به ثلاثة مطالب وخاتمة.

مقدمة: ذكرت فيها دور المراسلات وأهميتها في توجيه الدعاة الى المنهج السليم. وأسباب اختيار الموضوع، مشكلة البحث. أهدافه. أهميته. المنهج المتبع فيه. الدراسات السابقة. عملي في البحث.

المبحث الأول: تعريف المراسلات- ترجمة للفقيه سعيد بن لب. -ترجمة للفقيه الشاطبي

المبحث الثاني: الفتاوى الغرناطية ومراسلة الإمام الشاطبي شيخه الإمام سعيد بن لب.

ثم **الخاتمة:** دونت فيها أهم النتائج المتحصل عليها.

كان الإمام الشاطبي مكثرًا من مباحثة أعلام عصره، ومراسلته لهم، وحرصه على العلم والاستفادة، لا سيما في المسائل المشكلة، كما أنها تكشف لنا مدى اهتمام الشَّاطبي ببيان الحق واستبيانه، بأسلوب علمي مؤدب بعيد عن الألفاظ الجارحة، أو الانتصار للآراء، بل يتضح من خلال كثير من مراسلاته ومباحثاته قصده للحق واتباعه للكتاب والسنة، وبُعده عن التقليد الأعمى. وقد راسل الشَّاطبي جملة من أعلام عصره؛ كشيخه أبي سعيد بن لُب، وصاحبه أبي العباس القباب، وأبي عبد الله بن عرفه، وأبي عبد الله الفشتالي.

1/معنى المراسلات و ترجمة الإمام أبو سعيد بن لب والإمام أبو إسحاق الشاطبي:

1-1/معنى المراسلات:

-لغة: جمع رسالة، وهي من الأصل الثلاثي (رسل)، وراسله مُراسلة، فهو مُراسل ورسيل وتَراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض، والرسول الرسالة والمرسل (ابن منظور: 1166)، وراسله تداولت بينهم الرسائل، فهو مراسل ورسيل. وتراسلوا أرسل بعضهم إلى بعض، وكانت بينهم مكاتبات ومراسلات، والرسالة من اسم أرسل والمشتملة على المسائل من نوع واحد وجمعها رسائل. (أحمد رضا، 1958: 585-586)

-اصطلاحا: يمكن أن أقول أنّ المراسلة:

-هي فن من فنون الكتابة العلمية التي انتهجها أهل العلم للتواصل فيما بينهم.

-هو ما يكتب من مسائل العلم ابتغاء ايصاله إلى جهة مقصودة، بيانا للرأي أو الحجة والدليل.

1-1-1/نشأة فن الرسائل:

إنّ فن الرسائل كان شكلا من أشكال النثر في الأدب العربي، وبعد الاطلاع على النثر في العصر الجاهلي وجد أن فن الرسائل لم يكن موجودا في ذلك العصر، ربما بسبب قلة استعمال الكتابة (محمود المقداد، 1993: 209)، وصعوبة رسائلها (شوقي ضيف: 398)، ولكن وجدت ألوان أخرى كالقصة والمثل والخطبة. (رشا فخري النحال، 2014: 02)

الرسائل وجدت مع ظهور الإسلام ونزول الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، والدعوة للكتابة والقراءة، قال الله تعالى: "اقرأ باسم ربّك الذي خلق" [سورة العلق، آية:1].

فقد كان هناك حاجة ملحة لكتابة كثير من شؤون المسلمين، كمكاتبة الأمراء والملوك ورؤساء القبائل لدعوتهم للإسلام (ابن هشام: 253)، (الطبري:2، 645) (شوقي ضيف: 96)، كرسالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل عظيم الروم (الطبري: 2، 654) (أحمد صفوت: 37) (محمد حميد الله: 109)، ورسالته إلى كسرى عظيم فارس (الطبري:2، الطبري:2، 245)(أحمد صفوت: 40) (محمد حميد الله: 139)، ورسالته إلى النجاشي ملك الحبشة، يدعوهم للدخول في الإسلام. (ابن هشام:253) (الطبري:2، 652)

ومن رسائله أيضا العهود والمواثيق كالعهد الذي أبرمه الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار واليهود في المدينة، وكالمعاهد التي وضعها الرسول -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين قريش لوضع الحرب عشر سنين. (شوقي ضيف: 131) (أحمد صفوت: 35)

- ومع ظهور الإسلام وتوطيد أركانه أصبحت الحاجة ملحة من الرسول صلى الله عليه وسلم، لإرسال رسائل تعميم ونشر تعاليم الدين الحنيف ومبادئه، وتعرّف بالإسلام.
- سار الخلفاء الراشدون في رسائلهم على طريقة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، وكان من رسائلهم الدعوة للاعتصام بحبل الله، والدعوة للدخول في الإسلام أو دفع الجزية، أو لقادة الجيوش للإعطاء الأوامر كتولية القادة وتسيير الجيوش والحث على الجهاد...حيث تميزت الرسائل في عهد الخلفاء بأنّها تسعى لوضع وتأسيس مبادئ الدين الإسلامي، وإصلاح وتغيير المجتمع. (شوقي ضيف، 1968: 227)، (شوقي ضيف: 460)

1-1-2/أنواع الرسائل:

فيما يلي بعض أنواع الرسالة:

-**الرسائل الديوانية:** وتسمى بالرسائل السياسية أو الرسائل الرسمية وتهتم هذه الرسائل بالشؤون الإدارية. ولم تكثر الرسائل السياسية بين الخلفاء وولاتهم كما كثرت في عهد عبد الملك وخاصة بينه وبين الحجاج لكثرة الفتن والثورات التي نشبت في العراق وخراسان. (شوقي ضيف: 460)

-**الرسائل الإخوانية:** وهي الرسائل التي تُظهر عواطف الناس من خوف وحب ورجاء وتهنئة وتعزية وغيرها من الأمور. (شوقي ضيف: 464)

-**الرسائل الأدبية:** وهي الرسائل التي تناقش موضوعات محدد والتي تسمى بالمقالات (أبو القاسم سعد الله، 1981: 196)

هكذا ومن خلال هذه الأنواع للرسائل نتعرف منها على الوضع الاجتماعي والسياسي والعلمي في العصر الأندلسي.

1-1-3/رسائل لثلاث من الأئمة المجتهدين في القرن الثاني من الهجرة:

الأولى: رسالة الإمام أبي حنيفة الكوفي، المتوفى سنة150هـ، إلى فقيه البصرة الإمام عثمان بن مسلم البَتّي البصري، المتوفى سنة143، رضي الله تعالى عنهما. كتبها الإمام أبو حنيفة إجابة عن رسالة أرسلها إليه عثمان البَتّي، يسأله فيها عن رأيه في مسألة الإيمان، ويذكر له أنّه بلغه أنّ أبا حنيفة مُرجئ، فأوضح له الإمام أبو حنيفة رأيه في المسألة، ببيان علمي متين، وتبرّأ من الإرجاء، وقال: إنّه تسمية عليه من أهل شنآن وعُدوان. (رواية أبي مقاتل عن أبي حنيفة: 1368هـ،35)،(عبد الفتاح أبو غدة، 1999: 5)

الثانية: رسالة الإمام مالك بن أنس المدني، المتوفى سنة(179هـ -795م)، إلى فقيه مصر الإمام الليث بن سعد الفهمي المصري، المتوفى سنة(175هـ-791م)، يوجّهه فيها إلى فضل المدينة وعلمائها، وأهمية الأخذ بتعاملهم والعمل المتوارث فيما بينهم، وضرورة الاجتناب من مخالفة فتاويهم.(مصطفى الشكعة،1991م:11/3).

الثالثة: رسالة الإمام الليث بن سعد إلى الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما. أجاب بها عن رسالة الإمام مالك المذكورة، وبيّن عُذره في ترك فتاوى أهل المدينة فيما تركها. (عبد الفتاح أبو غدة، 1999: 6). (مصطفى الشكعة،1991م:112/3).

وفي هذه الرسائل نماذج حسنة لأفكار علماء القرن الثاني ومحاوراتهم في بعض المسائل الاعتقادية وطائفة من المسائل الفرعية، ونماذج لأدبهم واحترام بعضهم لآراء بعض. وأنّ المسائل الاجتهادية لا تُتّخذ مثار شقاق وتفريق، ولا مثار جدل وتعنيف.

رسائل المغيلي:

إذا نظرنا إلى الأثار العلمية التي خلّفها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ) (الكتاني: 573)، وجدناها عبارة عن رسائل، منها ما يحمل المعنى الحقيقي للرسالة، كتلك الرسائل التي وجهها لعلماء الحواضر الإسلامية، بفاس، تلمسان، وتونس والمذكورة في متاب المعيار للونشريسي، ومنها ما بعث به لبعض الملوك والمراء بالسودان الغربي كتلك التي بعثها لسلطان كانو، وسلطان غاو، وهي أقرب ما تكون إلى الكتب.

أما الصنف الثالث من آثاره العلمية، فهي عبارة عن كتب ألّفها في الفقه والمنطق والسياسة الشرعية. (أحمد نور الدين: 2010: 61)

1-2/ترجمة أبو سعيد بن لب (701-782هـ):

الحياة السياسية: ولد ابن لب في سنة701هـ في بداية القرن الثامن الهجري، وقد كان النفوذ الإسلامي ينحصر في مملكة غرناطة (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج1، 1974، ج1، ص91). التي كانت في ظل دولة بني نصر الدين، المعروفين كذلك ببني الأحمر (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 27/1). وقد عاصر أبو سعيد بن لب رحمه الله خمسة ملوك وهم:

1- نصر بن محمد الثاني -أبو الجيوش- (708هـ-713هـ)
2- إسماعيل الأول بن فرج -أبو الوليد- (713هـ-725هـ)
3- محمد الرابع بن إسماعيل -الغالب بالله- (725هـ-733هـ)
4- يوسف الأول -أبو الحجاج- (733هـ-755هـ)
5- محمد الغني بالله بن يوسف -أبو الحجاج- (755هـ-793هـ). (عبد الرحمن علي حجي، 1981: 563)

- ونلاحظ تعاقب خمسة ملوك في فترة زمنية مقدارها خمسة وثمانين سنة، وكيف كان استيلاء كل واحد منهم على الملك، فإنّه يتضح أنّه كانت هناك فتنا داخلية وحياة سياسية غير مستقرة، مما أدى إلى انقسامها وانهيارها. (لسان الدين الخطيب، 1957: 57، 65، 77، 89) (عبد الرحمن آدم علي، 1998: 27)

- 1-2-1/**الحالة الاجتماعية:**

كان المجتمع الغرناطي يعيش في رخاء وسعة تكثر لديهم الأقوات في الشتاء والصيف، ويدخّرها الناس على مر الفصول. وكان احتفالهم بالأعياد أنيقا ولكن في حدود الاعتدال والاقتصاد، وكانوا يعشقون مباهج الحياة والحفلات العامة. (لسان الدين الخطيب، 1973: 137/1) (لسان الدين الخطيب، 1957: 13، 14) (محمد عبد الله عنان، 1966: 450-451) (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 28/1)

وقد ازدهرت في هذه المملكة صناعات متعددة كصناعة الأسلحة الجيدة بنوع خاص، وصناعة الصوف والحرير، والأقمشة الملونة الممتازة، والجلود الدقيقة التي برع فيها أهل قرطبة، وصناعة الأدوية والعقاقير وغيرها من الصناعات التي اشتهرت بها. (محمد عبد الله عنان، 1966: 446-448) (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 30/1) ثم

الجانب العمراني المتمثل في المباني المختلفة كالمساجد والقصور والدور والقناطر، وقصر الحمراء مزينا بالنقوش التي تدل على فنية ماهرة رائعة، كذلك المباني الحربية المتعددة. (محمد عبد الله عنان، 1966: 448)

1-2-2/**الحياة الثقافية:**

لقد كان الجو الثقافي يختلف اختلافا كبيرا عن الجو السياسي والاجتماعي ذلك أنّه امتاز بالتطور والنضج والإنتاج العلمي الرائع وبدأت الحركة الفكرية بالأندلس في النصف الأول من القرن السابع الهجري تحاول وصل ماضيها بحاضرها.

وقد حظيت مملكة غرناطة بصرحين علميين حافظا على هذا الإشعاع الفكري الكبير وهما:

-**الجامع الأعظم:** الذي تنظم فيه حلقات الدروس، ويقصده للتعلم، كما يقصده للتعبد، جمع كثير من الطلاب النابغين الذين حملوا أعباء التدريس على أكتافهم واشتهروا فيما بعد بالعلم والمعرفة والتدين والتقوى والصلاح. (عبد الرحمن آدم علي، 1998: 33-34) (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 30/1)

ومن أشهر مدرسيه أبو سعيد فرج ابن لب، وأبو بكر أحمد بن جزي (715-785هـ). (الشاطبي: 29) (المقري، 1968: 525/5) (لسان الدين الخطيب: 163/1)

-**المدرسة النصرية:** التي أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول في منتصف القرن الثامن على يد حاجبه أبي النعيم رضوان، وأوقف أموالا للإنفاق عليها. (الشاطبي: 29) (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 32/1)

وقد كان لعلماء غرناطة جهود كبيرة في دعم هاته الحياة الفكرية، ومحاولة إصلاح الأوضاع التي حادت عن تعاليم الشريعة الإسلامية أمثال ابن جزي، ابن لب، ابن الفخار وابن عاصم في الفقه، والشاطبي في الأصول وفلسفة الشريعة، وابن الخطيب وابن زمرك والوزير ابن عاصم في القلم والسياسة. لقد كان هؤلاء العلماء يحركون نوازع الدين ويبثون روح الشجاعة والبسالة في الإقدام على محاربة النصارى، ويبرزون لهم منازل الشهداء ويحببون إلى قلوبهم الشهادة في سبيل الله. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004:

32/1) وكان القضاء الأخير على العلم بالأندلس في القرن التاسع حين استحوذ الجلالقة على غالب الجزيرة.

1-2-3/مولده ونشأته:

هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي الثعلبي. (ابن العماد الحنبلي، 280/6) (أنظر التعليق رقم 1) ولد أبو سعيد بن لب بغرناطة عام واحد وسبعمائة، ولا يعرف عن أسرته أو نشأته شيء من كتب التراجم كلّها كما ذكر سابقا، إلاّ ما قاله تلميذه السراج في فهرسته في وصف أبيه. (التنبكتي، 384/1) (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 16/1)

وبغرناطة نشأ ابن لب وترعرع، ونشاطه كله كان بغرناطة، إلى أن توفي بها.

1-2-4/شيوخه:

حياة ابن لب كانت كلّها في غرناطة فقد أخذ العلم عن عدة من مشاهير علماء عصره منهم:

1- محمد بن أحمد بن يوسف بن عمر الهاشمي الطنجالي أبو عبد الله (ت 724هـ). وسمع منه ابن لب وأجاز له إجازة عامة. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 17/1)

2- ابراهيم بن محمد بن أبي العاصي أبو إسحاق (ت725هـ). قرأ عليه ابن لب القرآن العظيم بقراءة نافع جمعا بين روايتي ورش وقالون. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 16/1)

1-2-5/تلاميذه:

قال المقري وهو يذكر تلاميذه: "وقل من لم يأخذ عنه في الأندلس في وقته...في خلق لا يحصون" (المقري، 1968: 513/5) (التنبكتي، 358/1)

نذكر منهم على سبيل المثال:

1- لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني الغرناطي (ت776هـ) (المقري، 1968: 80/5) (محمد بن محمد مخلوف، 1931: 230) (إسماعيل باشا البغدادي، 1951: 167/6)

2- إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي -أبو إسحاق- (ت790هـ) (محمد بن محمد مخلوف، 1931: 231/1) (إسماعيل باشا البغدادي، 1951: 167/6)، وقد نقل عنه الشاطبي بعض الفوائد النحوية وغيرها ونعته بالأستاذ الكبير الشهير. (الشاطبي: 35)

حياته العلمية وثناء العلماء عليه:

ذاع صيت ابن لب بين طلبته وكثير من معاصريه الذين كانوا يعتبرونه شيخ الشيوخ ومفتي الجماعة وعمدة فقهاء غرناطة وإمام الأندلس واشتهر أنّه كان عارفا بالعربية واللغة، مبرزا في التفسير، قائما على القراءات مشاركا في الأصلين والفرائض والأدب (السيوطي، 1965: 243) (المقري، 1968: 511/5) (ابن عماد الحنبلي: 280/6). وكانت له مناصب أخرى كالتدريس ببلده على وفور الشيوخ، وولي الخطابة بالجامع الأعظم، ثم انتصب للإقراء بالمدرسة النصرية (المقري، 1968: 511/5) (السيوطي، 1965: 243/2).

1-2-6/شعره و آثاره:

أ/**شعره:** لأبي سعيد بن لب شعر متنوع كشوقه إلى الديار المقدسة، وفي مدح سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك منظومة في وداع شهر رمضان المعظم. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 1/20-21)

ب/آثاره: لأبي سعيد بن لب آثارا قيمة أثنى عليها العلماء وذكرت في كتب التراجم أو كتب أخرى منها:

1- شرح جمل الزجاجي، وهو تقييد على بعض أبواب الجمل وليس شرحا بالمعنى المألوف. (المقري، 1968: 513/5) (التنبكتي، 359) (التنبكتي، **كفاية المحتاج، ص276)** (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 22/1)

2-تصريف التسهيل (المقري، 1968: 513/5) (التنبكتي، **كفاية المحتاج، ص276)**، (التنبكتي، 359)

3- الأدعية أثر الصلوات على الهيئة المعروفة (المقري، 1968: 514/5) (التنبكتي، **كفاية المحتاج، ص276)**، (التنبكتي، 359)

4- أرجوزة في الألغاز النحوية في 70بيتا مع شرح له عليها 10أوراق ورسالتان، حققها عياد الثبيتي. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 22/1)

1-2-7/وفاته: كانت وفاة أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن محمد بن لب في ليلة السبت لسبع عشر ليلة مضت من ذي الحجة عام اثنين وثمانين وسبعمائة. (المنتوري: 255) (المقري، 1968: 513/5)

3-ترجمة أبوإسحاق الشاطبي:

لعلّ أقدم ترجمة له هي التي تضمنتها برنامج تلميذه أبي عبد الله محمّد المجاري الغرناطي (ت862هـ). (الشاطبي: 21) (محمد أبو الأجفان: 431)

عاصر الإمام الشاطبي أربعة ملوك، وحدثت في عصره فتن داخلية وصراعا على السلطة عكّر الحياة السياسية إلى أن انتزع الإسبان آخر معاقلها سنة 897هـ. (الشاطبي: 26) (محمد أبو الأجفان: 438)

أمّا المناخ الثقافي في عصر الشاطبي فتواصلت فيه سنة الاهتمام العلمي المعهود منذ عهد ازدهار الحضارة الأندلسية، وقد ساعد في ذلك مؤسستان علميتان حافظتا على رصيد المعرفة الإسلامية:

1- الجامع الأعظم الذي تنتظم فيه حلقات الدروس، ومن أشهر مدرسيه أبو سعيد فرج بن لب، وأبو بكر أحمد بن جزي (ت785هـ). (الشاطبي: 29) (المجاري، 1982: 19)

2- المدرسة النصرية التي أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول في منتصف القرن الثامن على يد حاجبه أبي النعيم رضوان. (الشاطبي: 29) (محمد أبو الأجفان: 440) واصلت مهمتها العلمية إلى آخر عهد المسلمين بالأندلس. (المواق: 13) (المجاري، 1982: 19)

وكان الشعور الديني للعلماء في الأندلس عميقا يدفع بهم إلى ساحات الجهاد لإعلاء كلمة الله ورد كيد أعداء الإسلام، وممن نال منهم شرف الجهاد ونعمة الشهادة الشيخ أبو يحي محمّد بن محمّد بن عاصم (ت813هـ). (الشاطبي: 30) (محمد أبو الأجفان: 441)

ولجهاد العلماء لون آخر يستهدف ما يظهر من البدع في المجتمع الأندلسي، ومن القائمين بهذا الجهاد الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت سنة790هـ). (الشاطبي: 30) (محمد أبو الأجفان: 442) (الشاطبي: 12/1)

وقد ظهر النشاط العلمي بالأندلس في تأليف مصنّفات في مختلف الفنون، وفي إفتاء المكلّفين الذين كانوا يستفتون فيما ينزل بهم، وفي التباحث في المسائل الخلافية، وفي المناظرات والمراجعات، وقد ينتج عنها تأليف رسائل تبحث فيها رسائل علمية، وكان إسحاق الشاطبي أحد البارزين في مجال البحث والحوار الفقهي. (الشاطبي: 31) (محمد أبو الأجفان: 442) (المجاري، 1982: 21)

3-1/ولادة الشاطبي ونشأته:

لم يعين المترجمون لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمّد اللخمي الشاطبي سنة ولادته، فربما تكون قبيل سنة720هـ.

وبغرناطة نشأ الشاطبي وترعرع، وقد تحدث مترجموه عن شيوخه الغرناطيين والوافدين عليها، وعن نشاطه العلمي بها، ولم يشيروا إلى مكان آخر عاش به أو رحلة قام بها. (الشاطبي: 32) (محمد أبو الأجفان: 443)

3-2/دراسته وشيوخه:

أقبل أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي على الدراسة منذ صباه، وتعاطى علوم الوسائل وعلوم المقاصد، وقد أهلته دراسته للقرآن الكريم والسنة النبوية أن يكتنه مقاصد الشريعة ويدرك أسرارها، ثمّ أن يحسن التعبير عنها وبيانها والتأليف فيها. (الشاطبي: 32) (محمد أبو الأجفان: 444)

-شيوخه: شيوخه الغرناطيون منهم:

1- أبو عبد الله محمّد بن علي بن أحمد بن الفخار الخولاني البَيْري (ت754هـ)، كان من أحسن قراء الأندلس تلاوة وأداءً. قرأ عليه الشاطبي بالقراءات السبع في سبع ختمات، وأكثر عليه في التفقه في العربية وغيرها. (المجاري، 1982: 119) (التنبكتي: 48)

2 -أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الثعلبي (ت 782ه) مفتي غرناطة وخطيب جامعها والمدرس بمدرستها، وقد نقل عنه الشاطبي بعض الفوائد النحوية وغايرها، ونعته بالأستاذ الكبير الشهير. (الشاطبي: 93) (المجاري، 1982: 119)

-شيوخه الو افدين على غرناطة: نذكر منهم:

1-أبو عبد الله محمد بن أحمد المقّري (الجد) المعروف بالمقَّري الكبير (ت759ه): وكان الشاطبي يحضر بالجامع الأعظم دروسه التي كان يلقيها. وتفقه الشّاطبي عليه، وسمع عليه جملة من كتابه (تكميل التعقيب على صاحب التهذيب)، وكتاب (القواعد الفقهية) (المجاري، 1982: 119، 121) (التنبكتي: 49) وغيرها.

2-أبو عبد الله محمّد بن أحمد الشريف التلمساني: أعلم أهل وقته، وإمام المالكية في زمانه، (ت771ه). (ابن مريم محمد بن محمد: 164-184) (التنبكتي: 49)

3-شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مرزوق الخطيب التلمساني (ت781ه)، وقد سمع عليه الشاطبي في مجالس بالمدرسة النصرية وبالجامع الأعظم كتابي: الجامع الصحيح للإمام البخاري، وموطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحي بن يحي؛ وأجاز شمس الدين بن مرزوق بهذين الكتابين وبجميع ما يحمل تلميذه الشاطبي إجازة عامة بشرطها. (المجاري، 1982: 119)

ويمدنا كتاب الشاطبي (الإفادات والإنشادات) بأسماء أعلام آخرين من الذين استفاد منهم مترجمنا وروى عنهم.

3-3/تلاميذه:

أخذ عن أبي إسحاق الشاطبي جماعة من أعلام غرناطة منهم:

1-أبو يحيى بن محمّد بن عاصم، وأخاه أبا بكر القاضي، وأبا عبد الله محمّد البياني. (التنبكتي: 49) (الشاطبي: 12)

2-أبو جعفر أحمد القصار الأندلسي الغرناطي، الذي كان يطالعه الشاطبي ببعض المسائل عند تصنيفه لكتاب "الموافقات" ويباحثه فيها ثمّ يدوّنها في كتابه.

3-أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي المتوفى سنة862ه. (المجاري، 1982: 116)

3-4/أسانيده:

لأبي إسحاق الشاطبي عناية بالأسانيد والإجازة، على الشيخ الفقيه الراوية أبي القاسم ابن البنا بعض أحاديث كتاب "المسلسلات" لابن الطيلسان، وكان منها حديث المشابكة. (الشاطبي: 12)

وفي السنة صافح الشيخ الفقيه القاضي أبا عبد الله المقري، بمصافحة ينتهي سندها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. (المقري، 1968: 260/5) (الشاطبي: 99) وعن المقري أيضا أخذ الشاطبي سند تلقيم يصل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-. (الشاطبي: 140)

وبهذا ينخرط الشاطبي في سلك سلاسل إسناد حافظ عليها العلماء، وأثبتوها فيما ألّفوا من كتب البرامج والفهارس، ومن ذلك أنّنا نراه يُمثّل حلقة في سلسلة سند كتاب "الجمل" للزجاجي الذي أثبته أبو جعفر البلوي في ثَبته عندما ترجم لشيخه العلامة أبي القاسم الفهري. (البلوي أحمد بن علي، 1983: 156-157)

3-5/مؤلفاته وشعره:

1-الموافقات في أصول الشريعة: أودع فيه ما اهتدى إليه من أسرار التكليف المتعلقة بالشريعة الحنيفية وسمّاه أولاً بـ"عنوان التعريف بأسرار التكليف". (خير الدين الزركلي: 71/1) (الشاطبي: 45) (الشاطبي: 45)

2-الإعتصام فهو من أجلّ الكتب التي تناولت موضوع البدع، وحررت الكلام في مسائلها، فقد بحثها بحثا علميا وسبرها بمعيار الأصول الشرعية. (خير الدين الزركلي: 71/1) (الشاطبي، 1988: 11-12) (الشاطبي: 45)

خطط تولاها: تولّى الإمام الشاطبي خطة التدريس بغرناطة، وقد تخرجت على يديه ثلّة من العلماء كالإمامين: أبي يحيى بن عاصم وأخيه القاضي المؤلف أبي بكر بنت عاصم، والشيخ أبي عبد الله البياني، وغيرهم (التنبكتي: 50). وأسند إليه خطة الخطابة والإمامة، فتولاها دون أن يوافق على ما ارتبط بها من عادات كان يراها من الشوائب الزائدة. (الشاطبي، 1988: 12/1) (الشاطبي، 52)

3-6/أبحاثه مع العلماء ونقد بعض آرائه:

كانت للشاطبي أبحاث ومراجعات في مشكلات علمية مع بعض أعلام عصره، فمن الذين تباحث معهم قاضي الجماعة أبو عبد الله محمّد الفشتالي (ت777هـ)، وأبو العباس أحمد القباب الفاسي (ت779هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عباد الرندي (ت792هـ) وغيرهم. (التنبكتي: 50). (الشاطبي، 1988: 11/1)

ومن المراسلات والمسائل التي شملها البحث:

-مسألة أصولية، وهي مراعاة الخلاف. (الشاطبي، 103/1-106) (التنبكتي: 49).

-ومنها مسألة عقدية، تتعلق بقضية خلق عيسى -عليه السلام- (الشاطبي، 58)

-ومسألة فقهية، وهي حكم دعاء الإمام للجماعة في أدبار الصلوات، وقد كان الشاطبي يميل إلى المنع، وخالفه معاصراه أبو الحسن علي بن محمد الجذامي المالقي النباهي (المقري، 7/2)، وأبو سعيد فرج بن لب الغرناطي، وناصره تلميذه أبو يحيى محمد بن عاصم، وألّف تأليفا في ذلك وُصف بأنّه في غاية النبل والافادة. (محمد بن محمد مخلوف، 1931: 247)

3-7/وفاته: أجمع مترجموه على أنّ وفاته كانت في شعبان سنة790هـ-أوت 1388م. (الزركلي، 71/1) (الشاطبي: 55) (التنبكتي: 50) (المجاري، 1982: 123) (الكتاني، 1982: 191)

2/ الفتاوى الغرناطية والرسائل التي كانت بين الإمام الشاطبي وشيخه سعيد ابن لب:

2-1/ الفتاوى الغرناطية:

اهتم فقهاء غرناطة بالفتوى، وقد عرف كثير من علمائها بالاهتمام بحوادث الأمور إفتاء وتأليفا، وقد كانت تجري الفتوى عندهم على المذهب المالكي السائد في بلادهم، ومن شدة اهتمام علماء غرناطة بالفتوى كثيرا ما نجد تراجمهم من يعرف بالنوازلي أو المفتي، وكثيرا ما تعزى إليهم مصنفات الفتاوى، وتزخر كتب الأحكام والنوازل بنصوص الفتاوى المنقولة عنهم. (الشاطبي: 16).

ومن أعلام طبقة المفتين بغرناطة في عصر الإمام ابن لب والإمام الشاطبي:

-أبو إسحاق الشاطبي (ت790هـ).

-أبو عبد الله بن علاق (ت806هـ).

-أبو عبد الله محمد الحفار (ت811هـ).

-أبو بكر عاصم (ت829هـ). (الزركلي، 274/7)

أبو القاسم بن سراج (ت848هـ).

-أبو إسحاق إبراهيم بن فتوح العقيلي الغرناطي (ت867هـ).

- أبو البركات عماد الدين محمد بن محمد بن إبراهيم بن حزب الله البلفيقي المعروف بابن الحاج (680-771هـ). (انظر التعليق رقم 2) (التنبكتي: 85/2) (محمد بن محمد مخلوف، 1931: 229/1) (الزركلي، 269/7). (لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة،ج2، 1974، ص143)

2-2/علاقة الإمام ابن لب بالإمام الشاطبي:

إنّ الشاطبي أحد تلاميذ الأستاذ بن لب، وقد نقل الشاطبي بعض الفوائد النحوية وغيرها عن أستاذه، ومع هذا كان الشاطبي يخالف شيخه في أمور فرعية وفي مسائل فقهية معدودة، حيث كان ابن لب يراها من الأمور المعمول بها. فجوزها مستندا في ذلك إلى أصول شرعية، في حين أنّ الشاطبي لم يجوزها وإعتبرها من البدع التي استحدثها الناس ولم يكن عليها السلف. (الشاطبي: 21).

2-2-1/تحرير البحث في مسائل البدع والمحدثات:

إنّ ممّا عايشه الشاطبي في الأندلس الانحراف في الدين، وقد درس الشاطبي هذا الوضع السائد في عصره دراسة معمقة أفضت عن تقرير بأن هذا الانحراف كان يرتكب باعتباره من صلب الدين وجوهره، لا من باب الانحراف، وأيضا من جانب سوء تنزيل أحكام وأدلة الشرع على الواقع، فتنزل الأدلة على غير مناطاتها فاهتم بالبدعة بحثا وبيانا على مستويين. (الشاطبي:34).

وسأذكر بعض من هذه المسائل:

المسألة الأولى: قراءة الحزب جماعة

فقد سئل ابن لب عن قراءة الحزب في الجماعة على العادة، هل فيه أجر مع ما نقل فيه ابن رشد من الكراهة؟ (الونشريسي أحمد بن يحيى، 1981: 155/1)

فأجاب: أمّا قراءة الحزب في الجماعة على العادة فلم يكرهه أحد إلا مالك على عادته في إيثار الاتباع. وجمهور العلماء على جوازه واستحبابه. وقد تمسكوا في ذلك بالحديث الصحيح، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلاّ ونزلت عليهم السّكينة وغشيتْهُمُ الرحمةُ وحفّتهُمُ الملائكةُ وذكرهم الله فيمن عنده" (مسلم، ك الذكرب38، ج4، ص2074). ثم إنّ العمل بذلك قد تضافر عليه أهل هذه الأمصار والاعصار، وهذه مقاصد من يقصدها فلن يخيب من أجرها: منها تعاهد القرآن وحسبنا ما جاء فيه من الترغيب في الأحاديث، ومنها تسميع كتاب الله لمن يريد سماعه من عوام المسلمين، ومنها التماس الفضل المذكور في الحديث إذ لم يخصص وقتا دون وقت. ثمّ إنّ الترك المروي عن السلف لا يدل على حكم إذ لم ينقل عن أحد منهم أنّه كرهه أو منعه في ذينك الوقتين. ولا يعتقد فاعل ذلك أنّه يقدم على مكروه تقليدا لمالك، بل يعتقد معنى الحديث المتقدم وتقليد من يستحب ذلك ويستحسنه. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 200/1) (الونشريسي، 1981: 155/1-156)

وسئل الشاطبي نفس السؤال وهو: قراءة الحزب بالجمع هل يتناوله قوله عليه الصلاة والسلام: "ما اجتمع قوم في بيت...." كما وقع لبعض الناس أم هو بدعة؟

فأجاب: أنّ مالكا سئل عن ذلك فكرهه، وقال: هذا لم يكن من عمل الناس، وفي العتبية: سئل عن القراءة في المسجد؟ يعني على وجه مخصوص كالحزب ونحوه، فقال: لم يكن بالأمر القديم، وإنّما هو شيء أحدث.

قال: ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى ممّا كان عليه أولها.

وقال في موضع أخر: أترى الناس اليوم أرغب في الخير ممن مضى؟

يعني أنّه لو كان في ذلك خير لكان السلف أسبق إليه منّا، وذلك يدل على أنّه ليس بداخل تحت معنى الحديث. (الشاطبي: 205-206)

1-هذه المسألة خلافية لأن ابن لب قال أنّ العلماء على جوازه واستحبابه، وقال الشاطبي: كرهه مالك.

الشاطبي تمسك بقول مالك وأفتى على حسب هذا الرأي، أما ابن لب فقد كانت له قرائن.

2-اعتمد ابن لب واستند في فتواه على:

-الحديث الصحيح واعتبره أصلا كليا تندرج تحته هاته الجزئية

-قول جمهور العلماء هو الجواز والاستحباب

-ما جرى به العمل في هذه الأمصار والاعصار.

-ما في ذلك من فوائد تعود على فاعله بالأجر والثواب منها:

هو داخل تحت باب الخير المرغب فيه.

تسميع كتاب الله لمن يريد سماعه من عوام المسلمين.

التماس الفضل المذكور في الحديث.

-إنّ الترك المروي عن السلف لا يدل على حكم إذا لم ينقل عن أحدهم أنّه كرهه أو منعه في ذينك الوقتين.

-النظر إلى حال الناس وكما قال ابن لب لا سيما في وقت قلة الخير وأهله والكسل عن قوله وفعله، فهذا ترغيب إلى فعل الخير وانتشاره بين الناس، وعلى هذا الفتوى تتغير بتغير المكان والزمان. (بوجنان خضرة، 2005: 45)

-وقال ابن لب في الأخير أمرا مهما: "لا يعتقد فاعل ذلك أنه يقدم على مكروه تقليدا لمالك. بل يعتقد معنى الحديث المتقدم وتقليد من يستحب ذلك ويستحسنه". (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 201/1) (الونشريسي، 1981: 156/1)

وعلى هذا فإنّ ابن لب جوز واستحسن قراءة الحزب جماعة استنادا إلى أصول شرعية ثابتة ولم تكن بدعة مخالفة للسنة إذ لا يوجد قول للسلف يمنع ذلك، إلاّ قول مالك وكما قال ابن لب: "فلم يكرهه إلا مالك على عادته في إيثار الإتباع".

المسألة الثانية: قراءة يس عند الدفن.

سئل ابن لب عن ذلك فقال: " الأصل في القراءة على الميت عند دفنه الحديث المشهور في سورة (يس)، " اقرؤوها على موتاكم". (أبو داود، 191/3) (ابن حبان،

269/7) فخصه القوم بحالة الاحتضار، وأطلقه قوم. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 79/1) (الونشريسي، 1981: 312/1-313)

وسئل الشاطبي عن ذلك فقال: "إنّ في تلك القراءة ما في قراءة الحزب وتزيد بأنّها قراءة للقرآن في مواضع إزالة الأقذار والأوساخ التي يتنزه القرآن عنها ويكفي الموفق أنّه لم يكن من عمل السلف، وإنّما جاء في قراءة يس ما جاء عند الإحتضار، لا عند الغسل ولا عند الدفن ولا غيرهما. (الشاطبي: 209) (الونشريسي، 1981: 327/1) هذه المسألة أيضا تعتبر خلافية فقد قال ابن لب: "خصه قوم بحالة الاحتضار، وأطلقه قوم" وقال الشاطبي: "جاء في قراءة يس ما جاء عند الاحتضار".

-جوزها ابن لب عند الدفن، فهو من القوم الذين أطلقوا الحديث، ومنعها الشاطبي لأنّها لم تكن من عمل السلف. (بوجنان خضرة، 2005: 46)

المسألة الثالثة: تصبيح القبر سبعة أيام بعد الدفن

قال ابن لب في ذلك: "...أنكر الرجل مع ذلك أشياء مما درج الناس عليه في هذا القطر الأندلسي كتصبيح القبر سبعة أيام بعد دفن الميت، وكان أتباعه أشد إنكارا منه في ذلك. حتى قال بعضهم لي وأنا راجع من تصبيح القبر إذ ذاك أتفعل هذا وهو كفر؟". (المواق، محمد بن يوسف، 2002: 99) (الشاطبي: 61)

وسئل عن سابع الميت فأجاب: "وسألتم عن سابع الميت، وأثر طاووس الوارد فيه، ونصه على ما نقله ابن بطال في شرح البخاري عن ابن طاووس عن طاووس قال: كانوا يستحبون أن لا يتفرقوا عن الميت سبعة أيام لأنهم يفتنون ويحاسبون في قبورهم سبعة أيام. (الشاطبي: 209) انتهى.

وقول التابعي كان يعني به أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وهذا أصل عظيم للسابع الذي يفعله الناس اليوم. ويقتضي الأثر ألا يفارق الميت ولا يترك وحده تلك السبعة أيام وهذا يشق، فأخذ الناس بهذه الأزمنة بحظ من ذلك، ويحتسب في هذه السبعة أيام وقت دفنه لأنّه أول ذلك ومبدأ أوقات الفتنة. وقد نقل الناس أنّ الفسطاط ضرب على قبر أئمة من علماء الإسلام كابن عباس. (عبد الرزاق، 431/3) (الطبراني: 35/3) وما كان ذلك إلا لأجل الملازمة التي ذكرها طاووس، وهذا كلّه أولى بالإتباع

والوقوف عنده من الكلام الذي نقله ابن أبي الزمنين. (التنبكتي، 365-366) (انظر التعليق رقم 3) محمد بن محمد مخلوف، 1931: 101/1) (ابن عماد الحنبلي) في مقربه عن ابن وضاح في إنكار سابع الميت وأنّه ممّا أحدثه الناس ولا أصل له في الشرع وأنّه من قبيح محدثاتهم. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 80/1-81) (الونشريسي، 1981: 313/1) وأجاب الشاطبي عن ذلك بقوله: إنّ تصبيح القبر هو يسمى في القديم المأثم. (الشاطبي: 209).

قال: الطرطوشي (451-520هـ): (ابن عماد الحنبلي: 63/5-64) (الزركلي: 359/7) فأمّا المآثم فممنوعة بإجماع العلماء. قال: والمأتم هو الاجتماع في المصيبة وهو بدعة منكرة لم ينقل فيه شيء وكذلك ما بعده من الاجتماع في الثاني والثالث والرابع والسابع والشهر والسنة، فهو طامة. (الشاطبي: 210) قال وقد بلغني عن الشيخ أبي عمران الفاسي (ت430هـ) (التنبكتي، 422) (محمد بن محمد مخلوف، 1931: 106/1) وكان من أئمة المسلمين أن بعض أصحابه حضر صبحة فهجره شهرين وبعض الثالث، حتى استعان الرجل عليه فقبله وراجعه قال: وأظنه استثابه أن لا يعود.

وقد حكى القاضي عياض الرخصة فيه عن أهل القيروان بعد أن أشار إلى أن ذلك بدعة لم تكن في السلف. (الشاطبي: 209-210)

وأنت ترى ما حكي عن أبي عمران الفاسي وهو من أكابر أهل القيروان فالله أعلم بصحة ما نقله عياض" (الشاطبي: 210)

خلاصة القول:

1-ابن لب اعتبرها جائزة، واعتبرها الشاطبي من البدعة المنكرة.

2-استند ابن لب لقول التابعي طاووس، أمّا الشاطبي فقال أنّها ممنوعة بإجماع العلماء.

وعلى هذا فمن منظور ابن لب أنّ قول التابعي وعمله أولى بالإتباع من الوقوف عند الكلام الذي نقله ابن أبي الزمنين في مقربة عن ابن وضاح. أمّا الشاطبي فأنكرها واعتبرها بدعة لأنّ هذه المسألة لم ينقل فيها شيء عن السلف. (بوجنان خضرة، 2005: 49)

المسألة الرابعة: الدعاء أدبار الصلوات

قال ابن لب في هذه المسألة في نقل عن المواق: "قال شيخ الشيوخ ابن لب: لم يزل الدعاء أدبار الصلوات المفروضة معمولا به في جميع أقطار الأرض أو جلها من غير نكير إلا ما قد سلف، قدم غرناطة رجل سماه واشتد في إنكاره ذلك ممن كان يقرأ عليه فكان إدا فرغ مجلس كلامه بين يدي صلاة خرجوا مزدحمين فرارا من الصلاة خلف الأئمة الذين يدعون دبر الصلوات، ...". (المواق، محمد بن يوسف، 2002: 99) (الشاطبي: 61) وكذلك قال في ذلك: "غاية ما يستند منكر التزام الدعاء أدبار الصلوات أن التزامه على ذلك الوجه لم يكن من عمل السلف. قال: وعلى تقدير صحة هذا النقل أن صح فالترك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلاّ جواز الترك وانتفاء الحرج فيه خاصة وأمّا تحريم أو لصوق كراهة فلا ولا سيما فيما له أصل جملي متقرر من الشرع كالدعاء. (المواق محمد بن يوسف، 2002: 231)

أما الشاطبي فأجاب: "وقفت أرشدنا الله وإياكم على المسائل المكتتبة فوق هذا وبمقلوبه، والجواب عن الأولى وبالله التوفيق: إنّ دعاء الإمام للجماعة في أدبار الصلوات ليس من السنة ما يعضده. بل فيها ما ينافيه، فإنّ الذي يجب الاقتداء به سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، والذي ثبت عنه من العمل بعد الصلوات إمّا ذكر مجرد لا دعاء فيه كقوله: اللهم لا مانع لما أعطيت وأشباه ذلك وإما دعاء يخص به نفسه كقوله: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وأشباه به ولم يثبت عنه أنّه دعا للجماعة، ومازال كذلك مدة عمره ثم الخلفاء الراشدون بعده ثم السلف الصالح إلى أن نص العلماء على أن الإمام إذا سلم انصرف ولا يقعد في موضع إمامته، لإبعاد هذا اشكال لمن وفق وألهم رشده". (جلال علي القذافي الجهاني، 2003: 157)

فاعتبر ابن لب الدعاء أدبار الصلوات من الأمور التي جرى بها العمل فأجازه على هذا الاعتبار، أمّا الشاطبي فاعتبره من الأمور المبتدعة التي لم يكن عليها السلف واستحدثها الناس فاشتد في الإنكار عليها. (بوجنان خضرة، 2005: 50)

-المسألة الخامسة: اللحن في الدعاء

مسألة اللّحن في الدعاء فقد أورد فيها ابن لب حكاية تدل على أنّ اللحن في ألفاظ الدعاء يجعله غير مستجاب. قال الإمام أبو سعيد بن لب: الدعاء علم لساني وتعلّق قلبي هما مبناه، وعليهما يدور معناه.

ثمّ ذكر عن الخطابي أنّ الرياشي قال: مر الأصمعي برجل يقول في دعائه: يا ذو الجلال والإكرام، فقال له: ما اسمك؟ قال: ليث. فأنشد يقول:

ينادي ربّه باللّحن ليث لذاك إذا دعاه لا يجيب

إلاّ أنّ الإمام أبا إسحاق الشاطبي تعقب بأن الحكاية شعرية لا فقهية، والاحتجاج بها إلى اللعب أقرب منه إلى الجدّ. (الشاطبي، 1986: 44)

قال: وأقرب ما فيه أنّ أحدا من العلماء لا يشترط في الدعاء ألاّ يلحن كما يشترط الإخلاص وصدق التوجه وعزم المسألة وغير ذلك من الشروط.

قال الشاطبي في ذلك:"وضابطه أنّك تعرض مسألتك على الشريعة فإنّ صحت في ميزانها فانظر في مآلها بالنسبة على حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فان قبلتها فلك أن تتكلم فيها إمّا على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية". (الشاطبي، 1986: 44)

وتبين ممّا سبق، أنّ مستند ابن لب في الفتوى كان بيتا شعريا، وتعقب الشاطبي ذلك وقال أنّ الحكاية شعرية لا فقهية. ولكن ابن لب يمكن أن يكون ذكر البيت الشعري كمستأنس به لا مستندا عليه إذ لا يمكن أن تكون فتاوى ابن لب بغير الأدلة الشرعية.

ويتبين ذلك في ضابطه الذي يتبناه في البدعة حيث قال في ذلك: "...فإنّ البدع على الوجهين إحداهما أن تكون البدعة تزاحم المشروع وتوافق الممنوع، فهذه يجب الفرار منها والبعد عنها...وبدعة أخرى لا تعارض المشروع لأنّها لم يكن عمل بها في زمن السلف ولها دخول ما في المشروعية...". (الونشريسي أحمد بن يحيى، 1981: 134/1)

ومع هذا فانّ ابن لب كان يمنع كثيرا من البدع المستحدثة المنافية للمشروع ويشدّد في منعها، ويوافق في ذلك الشاطبي، ومنها:

1-بدعة التكبير من آخر سورة الضحى في قيام رمضان. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 69/1) (الونشريسي أحمد بن يحيى، 1981: 148/1)

2-انشاد الشعر الغزلي في الصوامع عقب التهليل وما معه من الأذكار بعد الآذان. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 191/1) (الونشريسي أحمد بن يحيى، 1981: 154/1)

3-التهليل والتكبير على صوت واحد أمام الجنازة. (أبو سعيد بن لب الغرناطي، 2004: 77/1) (الونشريسي أحمد بن يحيى، 1981: 313/1)

-إنّ الخلاف بين العالمين الجليلين ابن لب والشاطبي كان في أمور فرعية معدودة، وكلها كان تدور عن أمور استحدثها الناس لم تكن في عهد السلف.

-إنّ الشاطبي كان يعرض كل أمر محدث على مكان عليه السلف، فإن كان من الأمور المعمول بها آنذاك فجوزها وإلاّ اعتبرها بدعة منكرة يجب محاربتها. أمّا ابن لب فهو يرى أنّ البدعة المنكرة هي المخالفة للسنة الموافقة للممنوع، أمّا إذا جرى بها العمل آنذاك وكانت تندرج تحت أصل كلي مشروع فلا بأس فيها ولا داعي لإنكارها. (بوجنان خضرة، 2005: 53)

-خاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فها قد أنهيت -بحمد الله- مقالي الموسوم بـ: "المراسلات الفقهية بين الإمام الشاطبي وبين شيخه الإمام سعيد بن لب". أرخّت فيها عصرهما وحياتهما، ثم قدمت لمحات عن المراسلات وأهميتها، وعن بعض المسائل والقضايا التي خالف فيها الشاطبي شيخه. وفي البحث جملة من النتائج مبثوثة بين مباحثه ومطالبه، وهذه خطوطها العريضة:

1- للفتوى منزلة عظيمة في الإسلام فقد تولاها الله تعالى بنفسه، ثم رسوله عليه الصلاة والسلام، ثم الصحابة رضي الله عنهم، ثم التابعون إلى يومنا، ولها مراتب وشروط وآداب.

2- لهذه المراسلات دور دعوي وتعليمي آخر وهو حسم كثير من الخلافات والحد من التنابذ بين أطراف النزاعات.
3- بالرغم من الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي مرت بها الأندلس إلاّ أنّ الحالة العلمية بقيت ثابتة لثبات رجالها.
4- كان لثبات الحالة العلمية في هذا القرن أكبر الأثر في نبوغ العلماء وتضلعهم في شتى العلوم، مع إمامة الزهد والورع.
5- النصوص الشرعية كثيرة المادة واسعة المعاني، فهي محيطة وشاملة لأحكام الوقائع إلى يوم القيامة، إذا وجدت الملكة الفقهية.
6- للمراسلات الفقهية بين العلماء دور كبير ومهم لمعرفة الوضع الاجتماعي والسياسي في أي عصر وخاصة في العصر الأندلسي.
7- تحتاج هذه المراسلات والمسائل الخلافية التي كانت بين الإمام الشاطبي وشيخه الإمام ابن لب إلى زيادة التفصيل وذكر الآراء والفتاوى لفقهاء المذاهب الأخرى. وصدق من قال اختلاف الأمة رحمة.

التعليقات:

-**التعليق رقم 01:** الثعلبي: جاءت في فهرس السراج تلميذ ابن لب، كما في مخطوطة برنامج المجاري، وفي غاية النهاية لابن الجزري، والمجاري وابن الجزري من تلاميذ ابن لب؛ أما الثغلبي: فقد جاءت في الإحاطة، والكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ونثير الجمان لابن الحمر، وهما من تلاميذ ابن لب، كما جاءت في لقط الفرائد، ودرة الحجال، ونفح الطيب.

- التعليق رقم 02: قاضي الجماعة المعروف بابن الحاج شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء، والصوفية والخطباء وسيد أهل العلم، له تآليف كثيرة، توفي في شوال سنة (ت771ه).

- **التعليق رقم 03:**أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الزمنين: فقيه مالكي، من كبار المحدثين والعلماء الراسخين وأجل أهل وقته قدرا في العلم والرواية، له تصانيف كثيرة منها المنتخب في الأحكام، المهذب حياة القلوب في الرقائق،(324-399ه)

قائمة المصادروالمراجع:

1. إبراهيم بن موسى الشاطبي، (1986م)، **الإفادات والانشادات**، تح: محمد أبو الأجفان، ط2، مؤسسة الرسالة.
2. إبراهيم بن موسى الشاطبي، **فتاوي الإمام الشاطبي**، تح: محمد أبو الأجفان، مطبعة طيباوي للطبع والنشر.
3. ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، (1971م)، **ذيل وفيات الأعيان**، درة الحجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ط1.
4. ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبارمن ذهب**، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الافاق الجديدة.
5. ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، الجزائر، ديوان الأولياء والعلماء بتلمسان.
6. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار لسان العرب.
7. ابن هشام، **السيرة النبوية**، تعليق: عمر عبد السلام التدمري، (1990م)، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي.
8. أبو القاسم سعد الله، (1981م)، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، (16-20م)**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
9. أبو سعيد بن لب الغرناطي، (2004م)، **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد بن لب الغرناطي**، تح: حسين مختاري وهشام الرامي، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية.
10. أبو مقاتل رواية عن أبي حنيفة، (1368ه)، العالم والمتعلم، ويليه رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي ثم الفقه الأبسط رواية، أبي مطيع عن أبي حنيفة رحمهم الله، تحقيق: محمد زاهد الكوثري.
11. أحمد رضا، (1958م) **معجم متن اللغة**، بيروت، دار مكتبة الحياة.
12. أحمد صفوت، جمهرة رسائل العرب، القاهرة، مكتبة البابي، ط2.
13. محمد حميد الله، الوثائق الإسلامية، بيروت، دار النفائس، ط4.

14. أحمد نور الدين، (2010م)، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
15. جلال علي القذافي الجهاني، (2003م)، **الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء الحضرة**، ط1، دار ابن حزم.
16. البلوي، أبو جعفر أحمد بن علي الوادي آشي، (1983م)، **ثبت البلوي**، تح: عبد الله العمراني، ط1، دار الغرب الإسلامي.
17. بوجنان خضرة، (2005/2004م)، ابن لب وفتاواه عرضا ودراسة، رسالة ماجستير لنيل شهادة في الفقه وأصوله، جامعة أدرار.
18. خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،
19. رشا فخري النحال، (2014/2013م)، فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، كلية الآداب قسم اللغة العربية.
20. لسان الدين الخطيب، (1973م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، الشركة المصرية للنشر والطباعة. وط1، (1974م)
21. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، (1965م)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
22. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، (1988م)، **الاعتصام**، تعريف: محمد رشيد رضا، لبنان، دار المعرفة.
23. شوقي ضيف، **العصر الجاهلي**، ط10، مصر، دار المعارف.
24. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، ط2، القاهرة، دار المعارف بمصر.
25. عبد الرحمن آدم علي، (1998م)، **الامام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها**، ط1، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع.
26. عبد الرحمن علي حجي، (1981م)، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، ط2، بيروت، دار القلم.
27. عبد الفتاح أبو غدة، (1999م)، **نماذج من رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي**، ط2، لبنان، دار البشائر الإسلامية.

28. الكتاني، عبد الحي بن الكبير، (1982م)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء: إحسان عباس، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
29. لسان الدين الخطيب، (1374ه)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، صححه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية.
30. المجاري، أبو عبد الله محمد الأندلسي، (1982م)، **برنامج المجاري**، تح: محمد أبو الأجفان، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
31. محمد بن محمد مخلوف، (1349ه)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط1، لبنان، دار الكتاب العربي.
32. محمد عبد الله عنان، (1966م)، **نهاية الأندلس تاريخ العرب المتنصرين، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس**، ط3، القاهرة، مطبعة التأليف والترجمة والنشر.
33. محمود المقداد، (1993م)، **تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية**، ط1، دمشق، دار الفكر.
34. مصنف عبد الرزاق، كتاب الجنائز.
35. مصطفى الشكعة،(1991م)، **الإئمة الأربعة**، ط3، القاهرة، دار الكتاب المصري.
36. المقري، (1968م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: احسان عباس، بيروت، دار صادر.
37. المواق، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، (2002م)، **سنن المهتدين في مقامات الدين**، تح: محمد بن سيدي محمد بن حمين، ط1.
38. الونشريسي، أحمد بن يحيى، (1981م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.